بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة:27 /06/2008 **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

((الغفلة عن الله))

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير نبي اجتباه وهدىً ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعة الله، يا قوم نحن عما قريب ذاهبون من هذه الدار، وكم مر الموت علينا ونزل بغيرنا، وغداً سيمر على غيرنا وينزل بنا، وإن السعيد من سعد في تلك الدار، وإن الشقي من شقي في تلك الدار، فقدموا لأنفسكم. إنه من ﴿ ooيَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾[الزلزلة].

ثم استفتح بالذي هو خير يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ . . (3) ﴾[الأنبياء]

ويقول ربنا: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)﴾ [الأعراف]

عنوان خطبة اليوم: ((الغفلة عن الله))

كانوا خمسة إخوة ذكور، سافر ثلاثة منهم للعمل في دول الخليج في عام 1975، مات أبوهم الثري جداً والغني جداً في عام 1981، و بعد انتهاء الدفن العزاء فكر الأخوان المقيمان في البلد كيف بإمكانهما أن يمنعا إخوتهم المسافرين من الإرث لينالا جميع التركة، لقد خطر في بالهما خاطر شيطاني ما بعده خاطر، رفعا بإخوتهم الثلاثة تقارير أمنية خطيرة جداً، وكاذبة ومؤذية جداً منعت الإخوة الثلاثة من دخول البلد مرة ثانية، فازا بكل الإرث، حسب هؤلاء الأخوان كل الحسابات، ورتبا كل الترتيبات، ولكنهما نسيا حساباً واحداً هو حساب الله، ذكرا كل شيء ونسيا شيئاً واحداً، نسيا الله إنها الغفلة عن الله. وهذه واحدة.

في عام 1980 اشترى منه أرضاً، استلم البائع الثمن كاملاً وكتبا عقد بينهما، واتفقا على أن الفراغ في الدوائر الرسمية سيتم لا حقاً، وشغلا عن الأمر، قبل سنتين من الآن وبعد ارتفاع ثمن الأراضي ارتفاعاً كبيراً طلب الشاري من البائع أن يفرغ له الأرض بعد أن زاره مودعاً له لأنه سيذهب بعد أسبوع إلى الحج، وعده أنه سيفعل بعد أن يرجع من الحج، لما عاد جاء الشاري وذكره بوعده فأجابه مباشرة بالموافقة، لكن ابناً للبائع بلغ الآن مبلغ الرجال وصار محامياً طلب من الشاري ورقة العقد القديمة، فأظهرها له، قرأ المحامي الورقة ثم همس في أذن أبيه بإمكانك يا أبي وقد ارتفعت الأسعار ارتفاعاً فاحشاً أن تأخذ منها ما شئت من المال قبل الفراغ والقانون معك، نظر إلى الأب إلى ابنه نظرة المغضب وصرخ في وجهه وأين الله؟ القانون معي وأين الله؟ إنها غفلة الإبن عن الله وذكر الأب لله. وهذه ثانية.

مات أبوهم وترك لهم إرثاً كبيراً، لهم أخت حقوقية تعمل في القصر العدلي، حرروا لها الوكالات اللازمة لإنهاء مسألة الإرث وما يتعلق به، كانت ذكية جداً، خطر لها أن تخرج قطعة أرض ثمنها يساوي 200مليون ليرة سوري من المسألة الإرثية، لتقوم بتوزيع الحصص حسب الإرث الشرعي، فإذا استلم كل من الورثة حصته ضمت إلى حصتها حصة الأرض، رتبت كل الترتيبات، وحسبت كل الحسابات ونسيت حساباً واحد إنه حساب الله، وبالفعل أخرجت بذكاء ودون أن يشعر أحد قطعة الأرض من المسألة ثم تم توزيع الحصص وفراغها، وسيتم غداً الاستلام، لكن الله فاجئها بملك الموت إذ قبض روحها قبل يوم الاستلام بيوم واحد، إنها الغفلة عن الله. وهذه ثالثة.

دعته بمعسول كلامها وجميل لباسها وريحها ولحظ عينيها إلى نفسها، كان طالباً في الجامعة وهي مثله، وإن كانا من كليتين مختلفتين لكن المطاعم والمقاهي جمعت بينهما، أحبها، وقالت إنها أحبته أيضاً، هو من أسرة دمشقية عفيفة غنية مشهورة، ويبدو أنها من غير هذه البيئة، طلبت إليه أن يتزوجها وهو في السنة الثانية فأخبرها أن أباه لا يوافق، قالت له: ما شأنك بأبيك؟ أنت بالغ، عاقل، راشد، رجل، وهي لا تريد منه شيئاً سوى قربه متى شاء، وأين شاء، وكيف شاء، لكن بالحلال كما أدعت، ثم أباه سيقتنع فيما بعد، قال لها: وماذا عن أهلك، قالت: لا عليك فأنا أيضاً بالغة، عاقلة، راشدة، جامعية، سنذهب إلى شيخ من الشيوخ يعقد لنا، سألها: أين الشهود؟ قالت: تأتي أنت بشاهد من أصحابك، و أؤمن أنا شاهداً آخر، لكن، من الشيخ الذي سيعقد؟ قالت: لا عليك، إنها تعرف سبيله، ذهبت به إلى رجل، قالت: إنه الشيخ، عقد لها، وشهد الشاهدان، ودونا ذلك في ورقة احتفظت بها، ذهب العروسان إلى شقة استعارها الشاب من أحد أصحابه، وباتا مع بعضهما، لكنه صعق عندما أيقن أنها لم تكن بكراً بل كانت ثيباً، هناك من فعلها قبله معها، وعندما صرخ فيها ما هذه الفعلة؟ قالت: لا تزبد ولا ترعد أنت زوجي والعقد معي، إنها الغفلة عن الله.

عنوان خطبة اليوم: ((الغفلة عن الله))

والكثير من الحوادث اليومية تشير أن فاعلها غافل عن الله تعالى، ذاكر لهواه ولشهوته، عمي قلبه عن أوامر الله وإن كانت عيناه بصيرتان، صم عقله عن نواهي الله وإن كانت آذانه تسمع فيما يظهر لكم، لكن الله قال عنه: ﴿ . .لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179) ﴾[الأعراف]

الغفلة: سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ، يقال: أرض غفل يعني: لا منار فيها يهتدي به السالك.

وردت الغفلة في القرآن الكريم 35مرة. والغفلة عن الله رأس الخطايا، وهي التي تزيد الحسرة، وتزيل النعمة، وتحجب عن الخدمة، وتزيد الملامة والندامة، ولا أضر على العبد من أمرين: غفلته عن الله ومخالفته لأوامر الله.

قال الإمام الجنيد: تأملت في ذنوب أهل الإسلام فلم أرى منها ذنباً أعظم من الغفلة عن الله.

أن تحسب أن الله نائم، أن تحسب أن الله لا يسمعك في مكتبك عندما جلست تلك الجلسة الخاصة، أنت تحسب أن الله لا يراك عندما خلوت فيها في مكان لا يرضي الله، أنت تحسب أن الله لا يعلم ما في سرك إذ تبيت الشرور أعظم ذنب في الإسلام.

حكي أن بعض الصالحين رأى أستاذه في المنام فسأله: أي الحسرة أعظم عندكم؟ قال: حسرة الغفلة. يتحسر على لحظات في الدنيا ظن فيها أن الله غافل.

ورؤي رجل في المنام فقال له الرائي: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال لي: يا مدعي، يا كذاب، ادعيت محبتي ثم غفلت عني.

تحبون الله؟ نعم، كيف تفعل المعاصي وتظن أنه غافل؟ أنت في غفلة، وقلبك ساه، ذهب العمر والذنوب كما هي...

رأى رجل من الصالحين والده في المنام فقال: يا أبتي كيف أنت؟ وكيف حالك؟ قال: يا ولدي عشنا في الدنيا غافلين نأكل ونلبس ونلعب ونتمتع ومتنا غافلين.

يا أيها الإخوة: أول منازل العبودية منزلة اليقظة.

أن تستيقظ من هذا الرقاد، أن تستيقظ من غفلتك، أن تستيقظ من سكرتك، منزلة اليقظة. وهي تنبه القلب من نومته، وقومة العبد من غفلته، وصحوة العقل من سكرته، فلله درك متى يتنبه قلبك؟ ومتى تقوم بأوامر خالقك؟ ومتى يصحو هذا العقل؟

ذكروا أن يعقوب عليه السلام كان مآخياً لملك الموت فزاره فقال يعقوب: يا ملك الموت أزائراً جئت أم قابضاً لروحي؟ قال: بل جئتك زائراً، فقال: فإني أسألك حاجة، قال: وما هي؟ قال: أن تعلمني إذا دنا أجلي وأردت أن تقبض روحي بعد حين حتى أستعد، فقال: نعم، سأرسل لك رسولين أو ثلاثة، فلما انقضى أجله أتى إليه ملك الموت: فقال أزائراً أم قابضاً؟ قال: بل جئتك قابضاً، قال: أولست كنت أخبرتني أنك ترسل رسولين أو ثلاثة، قال: قد فعلت، قال: ما جاءني أحد، قال: بلى بياض شعرك بعد سواده رسول، وضعف بدنك بعد قوته رسول، وانحناء جسمك بعد استقامته رسول.

مضى الدهر و الأيام و الذنب حاصل وجاء رسول الموت والقلب غافل
نعيمك في الدنيا غرور وحسرة وعيشك في الدنيا محال وباطل

يا من أبيض شعره بعد اسوداد لقد جاءك الرسول، يا من ضعف بدنه بعد قوة لقد بلغك الرسول، يا ن أنحنى جسمه بعد استقامة عما قريب يأتيك من أرسل هذه الرسل.

يا أيها الإخوة: أسباب الغفلة ثلاثة وعواقبها ثلاثة وعلاجيها بثلاثة.

أما أسبابها: فدوام المعاصي دون توبة، وترك الطاعات وخصوصاً ذكر الله تعالى ومجالس العلم، وصحبة الغافلين.

إذا صحبت الغافلين سيؤثرون بك وسوف تحرقك نارهم، إذا تركت مجالس العلم ومجالس الذكر لأي سبب من السباب ستنالك الغفلة، إذا داومت على المعاصي ولم تتب فإن الغفلة قريبة منك.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (205)﴾ [الأعراف].كل من لا يذكر الله من الغافلين.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**)) [مسلم].

من ترك صلاة الجمعة لأي سبب من السباب ما لم يكن هناك عذر شرعي كسفر أو مرض مقعد، لكنك تعجب من شاب شديد قوي عتيد مؤمن لا يأتي الجمعة إلا دبراً، لكنك تعجب من رجل له من الفقه والعلم والثقافة ما الله به عليم، إذا كان يوم الجمعة ذهب إلى يعفور، لا يحضر خطبة الجمعة، لكنك تعجب من شاب لو تحرك إلى جدار لهده يترك صلاة الجمعة، لأن أصبعه قد دميت، ترك مجالس العلم، ترك ذكر الله تعالى يورث الغفلة، والغفلة أكثر شيء يتحسر عليه الإنسان بعد الموت.

وقالوا:إطلاق البصر إلى المحرمات يوجب استحكام الغفلة عن الله وعن الدرالآخرة.

المعاصي، له صديقة، له زميلة تتصل به ويتصل بها، أبوه يفرح بها إذا اتصلت، لأن ابنه قد كبر. أنت تهيأ لأبنك أن يكون من الغافلين.

عواقب الغفلة ثلاث:

✓ الشدة النفسية:

قال الله تعالى: ((﴿ . . نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ . .(67)﴾ [التوبة]

وقال: ((﴿ . . نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ . .(19)﴾ [الحشر]

✓ وتفشي العداوة والبغضاء حتى بين الإخوة والأخوات.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14)﴾ [المائدة].

✓ والعذاب في الدنيا والآخرة من عواقب الغفلة.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165)﴾ [الأعراف].

أما خاتمة هذه الخطبة وهي علاج الغفلة وهي النتيجة العملية من هذه الخطبة.

ماذا علي أن أفعل **فعلاج الغفلة بثلاثة** أن:

1- ترك الأسباب. المعاصي تؤدي إلى الغفلة اتركوها، يا أخي ترك الطاعات يؤدي إلى الغفلة أفعل الطاعات، صحبة الأشرار تؤدي إلى الغفلة، لقد أوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا . . (28)﴾ [الكهف].

أتعتقدون أن أحد من الفجار يؤثر في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم. مع كمال قوته العقلية والروحية والإيمانية قال الله تعالى له لا تصحب الغافلين.

2- صحبة الذاكرين. سأل رجل معلمه إنه يجد غفلة في قلبه فماذا يفعل؟ قال: يا ولدي اقترب من الأولياء فإنهم يؤثرون في قلبك. صحبة الذاكرين.

3- تخفيف الشهوات المباحات.

جميل أن تأكل لكن من الجميل أن تعيش لتأكل وفقط. جميل أن تلعب ولكن ليس حسناً أن يصير اللعب ديناً.

حسن أن تكون في منتزه من يوم من الأيام. لكن ليس من المعقول أن توقف عمرك على المنتهزهات.

كان سيدنا عمر يدعو فيقول: اللهم إني أعوذ بك أن تأخذني على غرة، أو تزرني في غفلة، أو تجعلني من الغافلين.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.